

تقرير حلقة بحث بعنوان:

***صمود غرناطة وحضارتها في الأندلس***

حلقة بحث لمادة: التاريخ

تقديم الطالب: عماد أخرس

إشراف: ربا أحمد

تاريخ: 11-1-2015م

العام الدراسي 2014-2015

ملخص:

يقدم هذا البحث نتائج الدراسة التي قامت عن أسباب سقوط الأندلس المملكة العربية الإسلامية الوحيدة في شبه الجزيرة الإيبيرية ونرى أيضاً حضارة هذه المملكة التي تنوعت على مختلف المجالات في الحياة وسنرى بعضاً من المحاولات التي قامت لمقاومة هذه السقوط.

المقدمة:

قد يسقط من التاريخ موقف بطولي عابر أو شخص ما بطل كان أو إنسان عادي وذلك لعدم وجود من يسجل ذلك في موسوعة التاريخ أو لقلة الاهتمام بهذا الحدث أو ذاك الشخص في تلك الفترة من الزمن ولكن لا يمكن أبداً أن تسقط امبراطورية أو مملكة أو مدينة أو حتى جزيرة سهواً كانت تخفي خلفها أحداثاً ومواقف غيرت مسار البشرية وأخذ منها ما يكفي ليسار على منهجه في هذه الأيام بدون أن يسجل ذلك في صفحات كتاب التاريخ ......فماذا لو كانت تلك المملكة هي فرع الإسلام في بلاد الغرب! وماذا لو كانت تلك المدينة هي آخر حصن أو معقل للعرب المسلمين في بلاد الغرب! وماذا لو كانت هذه الشريان الأخرين من جسم الإسلام في الغرب مصدراً مهماً لحضارة العرب والغرب في بلاد العالم! ............ تاريخ تحكيه الفرحة والبسمة وترويه الحسرة والدمعة....إن العرب المسلمين حولوا شبه الجزيرة الإيبيرية إلى جنة نضرة ومع كل هذه الأهمية وكل هذه الإنجازات والحضارة الواسعة التي ترامت أطراف الشرق والغرب لم يكتب التاريخ عن تلك المملكة في سطوره إلا القليل القليل من حياة شعب عاش وامتد تاريخه على مدى ثمانية قرون في أفضل أحواله على الرغم من بعض المشكلات الداخلية أو الخارجية التي عانى منها قليلاً إلا أنها سرعان ما كانت عقبةً تم تخطيها من قبل هذا الشعب الجبار المؤمن بالله والذي يعرف حدوده ويعلم حقوقه ومتى يأخذها بالقوة أو بالطرق السلمية وأيضاً يعرف ما هي واجباته بالتحديد ويؤديها على أكمل وجه .............لكن ماذا حصل ؟ ما الذي أدى إلا سقوط هذا الصرح الإسلامي الضخم؟ ما هو السبب وراء ضياع هذه المملكة العربية؟

نعم ........ لقد كانت ليلة سقوط تاريخ مشرق مزهر وبداية تاريخ آخر وحقبة أخرى في عمر الدولة العربية الإسلامية ......ليلة سقوط غرناطة آخر معقل للعرب المسلمين في أوربا وانهيار مملكة الأندلس في أوربا التي تركت ورائها آثاراً مدميه وأخرى محزنة مبكية على زوال هذا التراث العربي الإسلامي فهل كانت الأندلس مجرد جزيرة وسط بحر لم يكن يحتمل ديناً غير النصرانية؟ أم هل كان بعدها وانفصالها عن الوطن العربي هو سبب فنائها؟ أم أن الوجود الإسلامي في شبه جزيرة إيبيرية كان عابراً على الرغم من بناء حضارة عظيمة وضخمة؟

فما هي هذه الحضارة؟

وما هي هذه الأسباب التي أدت إلى اندثار هذه الحضارة؟

وماهي أبرز ما قام بهذه الفترة من محاولات لتجنب هذا السقوط؟

الباب الأول: الموقع الجغرافي والأهمية:

تقع مملكة الأندلس في الجزء الجنوبي الغربي من قارة أوربا مكان مملكة إسبانيا حالياً وجزء من جمهورية فرنسا حالياً بالإضافة إلى بعض الجزر في البحر الأبيض المتوسط فيمكننا تحديد موقعها جغرافياً بالاتجاهات الأربعة فإن مملكة الأندلس تطل شرقاً على البحر الأبيض المتوسط الذي عرف سابقاً بالبحر الرومي ويشرف المحيط الأطلسي عليها من جهتي الغرب والجنوب أما شمالاً فهي تطل على خليج باسكاي أي أنها محاطة بالمياه من ثلاث جهات

[[1]](#footnote-1)

وهذا الموقع أكسبها أهمية تجارية واقتصادية واستراتيجية كبيرة وجعلها محط أطماع [[2]](#footnote-2)العديد من الامبراطوريات والممالك القديمة وكان أولهم الدولة العربية الإسلامية التي امتد نفوذها في تلك الفترة حتى بلاد المغرب وجبل طارق فكانت أول مرمى نظر لأي عربي إسلامي واتجه نظرهم للسيطرة عليها وضمها للملكة الإسلامية بعد الامتداد على المغرب العربي وبعض المناطق من إفريقيا وأجزاء من آسيا في الشرق فأرادوا مد نفوذهم إلى منطقة أوربا ونشر الحضارة الإسلامية فيها أيضاً ويمكننا أيضاً الاطلاع على موقع آخر معقل عربي إسلامي في أوربا ألا وهي غرناطة:

الباب الثاني: سيطرة العرب المسلمين على الأندلس:

الفصل الأول: الفكرة وكيفية التنفيذ:

كان فتح العرب للأندلس أمراً منطقياً بعد امتدادهم على شمال إفريقيا في عهد الخلافة الأموية حيث أن تجسيد الفكرة كان في عهد الخليفة أبو الوليد بن عبد الملك بالتنسيق مع قائد العمليات الإسلامية في شمال إفريقيا موسى بن نصير حيث أرسل موسى أحد ضباطه يدعى ظريف بن مالك المعافري وأرسل معه قوة عسكرية بمهمة استطلاعية استكشافية إلى السواحل الجنوبية لإسبانيا عام(91هجري-710ميلادي) لكنه تمكن من الإغارة على بعض الجزر ونتيجة لذلك تأكد موسى من ضعف الدفاع الإسباني وقرر إرسال طارق بن زياد على رأس جيش قوامه سبعة آلاف مقاتل.

توجه طارق بقيادة هذا الجيش بعد أن عززه ببناء السفن لعبور الحدود البحرية بين القارتين حيث سيطر أولاً على الجبل الذي سمي فيما بعد باسمه وبدأ التوغل في إسبانيا وتوسع إلى حد كبير وهذه الانتصارات والفتوحات دفعت طارق ليكتب إلى موسى عن إنجازاته وهذا الكتاب شجع موسى على المشاركة بنفسه بهذه الفتوحات وكان ذلك عام(93هجري-712ميلادي) وأصبح هنالك جيشان عربيان إسلاميان بقيادة كل من موسى وطارق واستمرا في الفتوحات حتى وصلا للحدود الفرنسية وسيطروا على ليون لكن القائدان تلقيا أمراً من الخليفة بوقف العمليات العسكرية والعودة إلى دمشق وهذا كان إنجازاً للجيش العربي الإسلامي الذي كان عدده لا يتجاوز الثلاثين ألفاً وكان العدد بالطبع صغيراً جداً مقارنة بالعدو.

الفصل الثاني: عبد الرحمن الغافقي واستلامه الحكم:

استلم عبد الرحمن الغافقي حكم الأندلس عام (112ميلادي) بعد تعيينه من قبل هشام بن عبد الملك حيث أنه كان معزولاً بعد أن كان قائداً للشاطئ الشرقي للأندلس ولقد كان قائداً حياً ووالياً ممتازاً حيث أنه وحد الجميع تحت راية الإسلام وواصل العمليات العسكرية حتى وادي الرون في عمق فرنسا إلا أنه سقط شهيداً في معركة بلاط الشهداء أمام شارل مارتل عام (114هجري-732ميلادي) ونتيجة الهزيمة في تلك المعركة انحسر المد والتقدم الإسلامي وبقي العرب في الأندلس واقاموا هناك مدة ثمانية قرون.

وكان من أهم أسباب الهزيمة في هذه المعركة:

1) بعد الجيش الإسلامي عن أرضه مسافة 400 كم تقريباً شمال جبل ألبرت.

2) كان الوقت آنذاك خريفاً وهو وقت سقوط المطر في تلك النواحي.

3) انشغال العرب المسلمين بالغنائم الكثيرة التي كانوا قد حملوها بالفتوحات السابقة قبل الوصول لهذه المعركة.

الباب الثالث: حروب الاسترداد التي شنتها الممالك النصرانية على الأندلس:

الفصل الأول: أصل الاسترداد وسببه:

بدأت هذه الحروب في القرن الحادي عشر ميلادي أو الخامس هجري كانت هذه الحروب عنصراً مهماً في مرحلة تكوين إسبانيا الحديثة يعتبرها الإسبان من أهم الإحداث الوطنية والقومية في تاريخه فلقد لعب الشعور الوطني والديني دوراً كبيراً في نشأة هذه الحروب ولقد سميت بحروب الاسترداد لأنهم يقصدون بها استرداد شيء ما أي أن العرب كانوا محتلين للأندلس والإسبان هم من سيستعيدوها ولكن معظم الممالك النصرانية التي قادت هذه الحروب مثل (قشتالة وأراغون أو نافارا) لم تكن موجودة بالأصل عندما وصل المسلمون إلى الأندلس وبالتالي ماذا سيستردون إذا لم يكونوا موجودين؟ وكانت أغلب الممالك التي شنت هذه الحروب قد قامت بها نتيجة أسباب مالية أو سياسية لأن كل مملكة كانت تسعى إلى التوسع والامتداد حتى ولو حساب مملكة نصرانية أخرى.

بدأت هذه الحروب بتقدم المسيحيين على الأندلس وقد تمت على مراحل مختلفة وبشكل غير منظم حيث بدأت بعدما اتحدت قشتالة وليون تحت قيادة ألفونسو السادس وبدأوا بالخطة التوسعية بتحرير أجزاء ذات طابع مسيحي بالشمال وكان البابا (إيناسن الثالث) يلعب دوراً مهماً في هذه الحروب فلقد أعلن وبشكل غير مباشر الحرب على المسلمين بتشجيع من الممالك النصرانية فلقد كانت الكنيسة المسيحية لها دور خاص حيث كان الرهبان يشاركون بشكل مباشر في الحروب مع المسلمين وكانت بعضها تراقب الملوك النصرانيين وتتخذ منهم مواقف أو تمنعهم من دخول الكنيسة في حال تعاملهم أو تعاونهم مع العرب المسلمين وفي عام (1495م) أصدر البابا ألكسندر الرابع مرسوماً يعطي الحق للعاهلين الكاثوليكيين فرناندو إيزابيلا بالاستيلاء على أي جزء من الأراضي والاستحواذ عليها حيث أنه كان من أصل إسباني وبالتحديد من مملكة أراغون[[3]](#footnote-3).

الفصل الثاني: انهيار الدولة الأمويية وتمزق الأندلس إلى دويلات:

عندما ساد الدولة الأموية الوهن والضعف ودب في أوصالها أعراض الهرم والانحلال وساد الأندلس بعد سقوط الدولة الأموية الفوضى والارتباك وتمزقت أشلاءً متفرقة وبعد استلام العباسيين للحكم قاموا بملاحقة الأمويين محاولين قتلهم حيث كان عبد الرحمن بن معاوية واحداً منهم وتمكن من الهرب إلى الأندلس وأسس دولة لكن في عام (995م-385ه) تمزقت الأندلس وقامت كل طائفة بارزة أو عائلة بإنشاء دولة مستقلة عن الدول الأندلسية الأخرى وبذلك تمزقت الاندلس إلى إحدى وعشرين دولة منفصلة عن الأخرى حيث كان العصر الذهبي لحروب الاسترداد عندما سقطت الدولة الأمويية في الأندلس(1031م).

الفصل الثالث: توالي حكام الأندلس بعد عبد الرحمن بن معاوية:

استلم الحكم بعد عبد الرحمن هشام الأول الرضا عام (173-180هجري) وبعد وفاته استلم ابنه الحَكَمُ بن هشام عام(180-206هجري) لكن حدث في عهده أن قامت انتفاضة من الفقراء والمساكين تطالب بالعدالة لكن الحاكم انشغل بقمعها فاستغل الصليبي شارلمان هذا الوضع فسيطر على برشلونة (190هجري) وأصبحت شوكة في خاصرة المسلمين وبعد وفاته نتيجة مرض مزمن استلم الحكم ابنه واسمه عبد الرحمن الثاني حيث كان مثقفاً فقيهاً متعلماً وكان يوجد ديوان للمظالم وكانت أغلب فترات الحكم السابقة تتميز بالنعيم والاستقرار والرفاه والترف.

وصل عبد الرحمن الثالث إلى الحكم في الحادية عشرة من عمره عام (300هجري-912ميلادي) ومن أهم الأعمال الداخلية التي قام بها أن أرسل منشوراً إلى كل أمير أو ملك موجود على النواحي فتوعدهم وحذرهم ولكنه يقول أم كل واحد من هؤلاء الأمراء أو الملوك إذا قدم ولاءه للحاكم فإنه سيكون من المقربين ومن لم يفعل فإنه سينذره بحرب مدمرة مهلكة.

كان هذا المنشور السبب الرئيسي في القضاء على جميع الثورات التي كانت من الممكن أن تحصل ضد حكمه وبعد أن مكَّنَ عبد الرحمن الثالث نفسه من الحكم وسيطر على الوضع وجد أن لقب الأمير لم يعد يليق به ورأى أن لقب الخلافة هو حق به

فأطلق على نفسه لقب أمير المؤمنين عام (316هجري-928ميلادي) وأنشأ مدينة الزهراء في سفح جبل العروس بالقرب من قرطبة بالإضافة إلى المنارة المذهبة التي سميت بمنارة ناصر (نسبة للأمير لأن لقبه كان الناصر).

أما خارجياً فلقد خاض عدداً من الحروب مبتدئاً من عام (308هجري-920ميلادي) وأحرز عدداً من الانتصارات وسيطر على مواقع مهمة حنى هزم في معركة خندق شمنقة عام (327هجري-939ميلادي) جعلته يوقف هذا التقدم وتوفي عام(350هجري-961ميلادي) في اليوم الثاني من رمضان ودفن في قرطبة وبعده استلم الحُكمَ الحَكَمُ بن عبد الرحمن (المستنصر بالله) حيث تولى الخلافة عام (350هجري-961ميلادي) حيث كان مهتماً بالمعرفة والعلم وأنشأ في القصر مكتبة عظيمة ضخمة جداً قدر المؤرخون عدد كتبها بنصف مليون مجلد.

بعد وفاة الحَكَم استلم ابنه هشام وكان عمره لا يزيد عن عشر سنوات وكان لقبه (المؤيد بالله) ولكن رئيس وزرائه المنصور محمد بن أبي عامر دبر المكائد حتى تمكن من الانقلاب على هشام وسيطر على الحكم حيث عين ابنه عبد الملك رئيساً للوزراء لكنه توفي عام (392ه-1002م) وعادت من بعده سياسة الطوائف حيث أن هذه الطوائف تطاحنت فيما بينها لتوسيع رقعة حكم كل منها ووصلوا إلى حد أن تعاونوا مع الممالك النصرانية ضد بعضهم واستغل النصارى هذا الوضع المشحون ولا سيما الملك فيرديناند الأول وسيطر على عدد من الأراضي الإسلامية وخاصة عندما قامت بعض الدويلات الإسلامية بمنح القلاع والحصون وأحياناً جزية لممالك النصرانية ساهمت بشكل كبير في تقوية الجيوش النصرانية حيث كانت بمبلونة أول دويلة تسقط في شمال الأندلس في حروب الاسترداد بيد الإسبان عام (784م) وفي عام (985م) سقطت برشلونة وبعد مرور اثنا عشر عاماً تقريباً سقطت مدينة سنتياغو عام (979م) وبعدها سيطروا على سرقسطة عام (1019م) ثم هدأت بعدها حروب الاسترداد مدة نصف قرن وعند عودتها سيطروا على مدينة سلمنغا عام (1055م) بعد تسعة أعوام تبعتها مدينة كولامبرا وبعد تسع عشرة عاماً من توقفها تجددت حروب الاسترداد من جديد فسقطت مدريد عام (1084م) وبعد عام نجح ألفونسو السادس في انتزاع طليطلة حيث اتخذ القشتاليون من طليطلة عاصمة لهم نظراً لأهميتها الدينية والتاريخية والاستراتيجية ولأنهم يعدونها نقطة الانطلاق لاستعادة ما تبقى من الأندلس وساءت الأحوال وبشكل كبير جداً واضطر رؤساء الطوائف أن يشكلوا وفداً وانطلقوا لطلب النجدة من المرابطين في المغرب خوفاً منهم على ضياع الأندلس بالكامل.

الفصل الرابع: المرابطون وحكمهم للأندلس:

من هم المرابطون؟ المرابطون هم قبائل ينسبون إلى حمير وأشهرهم قبائل لمتونه وجدالة ولمطة وسكنوا الصحراء بالمغرب الأقصى واستوطنوها) وكان يوسف بن تاشفين من قبيلة لمتونة حيث انه كان امير المرابطين وأسس دولتهم عام (1056م) التي امتدت دولته في معظم أنحاء المغرب العربي واستنجد أهل الأندلس بيوسف حيث كان ألفونسو السادس محاصراً مدينة سرقسطة وحين علم بقدوم يوسف انسحب لملاقاته ودارت معركة الزلاقة الطاحنة بين الأندلسيين والمغارية بقيادة يوسف بن تاشفين ضد ألفونسو عام (479ه-1086م) هزم فيها الصليبيون شر هزيمة وتراجع عن إقليم بلنسية وعاد من بعدها يوسف إلى المغرب مع المرابطين ولم يتمكن من السيطرة على طليطلة لشدة تحصينهم لها.

لكن الإسبان تجاوزوا هزيمتهم في الزلاقة وشنوا هجمات قوية على مناطق ضعيفة وسيطروا عليها وعاد الأندلسيون مرة أخرى لطلب الدعم والعون من يوسف بن تاشفين الذي عبر المضيق مرة أخرى عام (481ه-1088م) وأعلن الاستنفار في الأندلس وتمكنوا من دحر الإسبان وعاد من جديد يوسف إلى المغرب مرة أخرى بعد حدوث خلافات بينه وبين أمراء الأندلس وفي المرة الثالثة عاد وعبر المضيق عام (483ه-1090م) لكن هذه المرة قام بالسيطرة على معظم الأراضي الأندلسية وـخذها من أمرائها ما عدا سرقسطة التي أدرك أهميتها كخط دفاع أولي ضد النصارى وفي عام (496ه-1102م) أصبحت الدولة الأندلس والمغرب دولة واحدة عاصمتها مراكش برئاسة يوسف الذي لقب بأمير المؤمنين حتى توفي عام (500ه-1106م) تاركاً الحكم لابنه علي الذي انتصر في معارك كثيرة مثل قيش وإفراغة وكانت الأخيرة سنة (528ه-1134م) حيث لقي فيها ألفونسو حتفه.

الفصل الخامس: دولة الموحدين القائمة فوق دولة المرابطين:

برز في عهد علي بن يوسف شخص يدعى محمد بن تومرت أخذ يدعو ضد المرابطين وشوّه سمعتهم حيث كانت هذه هي المرحلة الأولى من تشكل دولة الموحدين أما المرحلة الثانية فكانت بقيادة عبد المؤمن بن علي (524-543ه) والتي توّجت بسقوط دولة المرابطين وقيام دولة الموحدين وبعد وفات عبد المؤمن بن علي استلم ابنه أبو يعقوب يوسف المنصور وفي هذه الفترة كانت ممالك الشمال النصرانية تسقط ممالك الطوائف الأندلسية الشمالية واحدة تلو الأخرى وغنم النصارى قرطبة حيث استعان ألفونسو الثالث بكل ما أتيح له من قو أمدته بها الممالك النصرانية وأطبق الحصار على قرطبة العاصمة في عهد الأمويين التي عزم أهلها على الدفاع عنها لكنهم سقطوا مستسلمين أمام هذا الحصار الخانق الذي منع عنهم الامداد من البر ومنع اتصالهم من ناحية النهر الكبير حتى أعلنوا استسلامهم وهنا بدأت ممالك الجنوب تترنح وتأخذ وضعاً دفاعياً.

الفصل السادس: موقعة الأرك (591ه) وانهيار بعض الأجزاء الأندلسية:

الأرك حصن على بعد عشرين كم إلى الشمال الغربي من قلعة رباح على أحد فروع نهر وادي آنة وهي نقطة الحدود يسن قشتالة والأندلس في حين تجهّز ألفونسو الثامن ملك قشتالة للقاء الجيش الإسلامي وطلب العون من ملكي ليون وونبارة.

ونظم أبو يوسف جيشه ودارت المعركة وانتهى يوم الأرك بهزيمة النصارى على نحو مروع وسقط منهم في القتال ثلاثون ألفاً من القتلى وغنم المسلمون معسكر الإسبان بجميع ما فيه من المتاع والمال واقتحموا عقب الموقعة حصن الأرك وقلعة رباح وكان من أهم نتائجها قيام بعض الممالك النصرانية بعقد اتفاقيات ومعاهدات وهُدَن مع المسلمين وأيضاً من النتائج أن انصاعت بعض قبائل المغرب التي كانت تفكر في الثورة على الموحدين وارتفعت الروح المعنوية لمسلمي الأندلس وسقطت هيبة ملوك النصارى.

كان خايمي ملك أراغون حاصر فالنسيا ومنع المؤن عنها وعزم أهلها الدفاع عنها وفي عام (1238م) وبعد خمس سنوات من المقاومة استسلمت المدينة ودخلها خايمي مع جيوشه بمباركة من البابا غريغور التاسع وبسقوطها لم يعد بقواعد الشرق في الأندلس شيء بيد المسلمين.

تابع فرناندو الثالث غزواته في منطقة الأندلس الوسطى وتوالى سقوط القواعد الأندلسية في غضون أقل من عشرة أعوام حتى بقيت مملكتان في جنوب وجنوب شرقي هما غرناطة واشبيلية حيث كانت الأخيرة ترتبط بمعاهدة بين عمر بن الجد حاكم اشبيلية وفرناندو الثالث حيث كان ابن الجد ملتزماً بتنفيذ بنودها فكان يعترف ابن الجد بطاعة ملك قشتالة وأن يؤدي له الجزية ويشهد اجتماعات البلاط باعتباره واحداً من أتباع فرناندو وأن يقدم له العون متى طلب ذلك.

كانت هذه المعاهدة تسهل الخطوة القادمة للملك القشتالي فرناندو من أجل السيطرة على اشبيلية لكن كان يجب أن يعد لها تجهيزاً خاصاً فلم تكن مدينة صغيرة بل كانت محصنة بطريقة غريبة وكانت من أقوى الممالك الإسلامية في الأندلس وفي عام (645ه-1247م) أطبق الملك النصراني الحصار عليها وفي عام (1248م) دخل الملك اشبيلية واتجه إلى المسجد الأعظم الذي حوله إلى كنيسه ومنذ ذلك اليوم أصبحت اشبيلية عاصمة القشتاليين بدلاً من طليطلة[[4]](#footnote-4).

الباب الرابع: ابن الأحمر والمعارك الإسلامية:

الفصل الأول: وفاة محمد الأول وولاية ابنه من بعده:

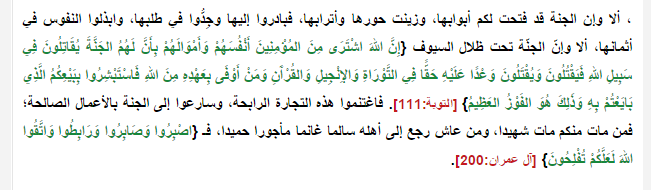
في عام (671هجري -1273ميلادي) يموت محمد بن الأحمر الأول حيث كان عمره يناهز الثمانين عاماً تقريباً وقد كانت وصيته بتعيين ابنه من بعده لولايته حيث كان اسمه مثل معظم أسماء بني الأحمر (محمد) فكان هو محمد بن محمد بن يوسف بن الأحمر وكان أهم ما يحكى أنه صاحب علم غزير ووافر وعالم بأمور الدين ومفقه لذلك أطلق عليه لقب الفقيه.

وحين استلامه الحكم ظن المشركون النصارى المرابطون للحدود الإسلامية أن الدولة قد ضعفت باستلام الفقيه الحكم عن أبيه ابن الأحمر الأول وخاصة "ألفونسو العاشر" وبدءً من ذاك اليوم توالت الهجمات النصرانية على الدولة الإسلامية فما كان من الفقيه بعد أن رأى وضعه إلى أن قام بطلب الدعم والمساعدة من المنصور المارديني وكان ذلك عام (673هجري) حيث جهز المنصور جيشاً قوامه خمسة آلاف رجل من رجال الإسلام في المغرب (بني مارين) ويعبر بهم إلى بلاد الأندلس ليستجيب لنداء الفقيه.

وهنا اجتمع الجيشان الإسلامي والنصراني في موقعة الدونونية ولنرى أحداثها.

الفصل الثاني: موقعة الدونونية ونصر للمسلمين:

في عام(674هجري-1276ميلادي) وقعت هذه المعركة بين الجيشين العربي الإسلامي والنصارى حيث كان عدد المسلمين لا يزيد على عشرة آلاف مقاتل يترأسهم المنصور المارديني أما أعداد النصارى فكان يتجاوز التسعون ألفاً وبهذا العدد الضئيل نسبياً لكن المؤمن بربه وبإسلامه تمكن من الانتصار نصراً باهراً وساحقاً حيث أنهم قتلوا ستة آلاف جندي نصراني وأسروا الكثير منهم ولكن العمل الأهم هو قتلهم (دون نونيو دي لاري) قائد قشتاله في هذه الموقعة العظيمة وكانت هذه المعركة هي أول معركة ينتصر فيها المسلمون على النصارى منذ معركة الأرك (591هجري-1195ميلادي).

وهذا كان ما قاله المنصور المارديني في هذه المعركة:[[5]](#footnote-5)

الباب الخامس: أولى الخيانات التي كانت فاتحة لما بعدها:

الفصل الأول: خيانة ابن الأحمر الفقيه العظمى:

في الفترة التي سلم فيها المنصور الغنائم والجزية لخزينة الدولة كان حاكم ألمرية على فراش الموت يلتقط أنفاسه (ويجدر بالذكر أن ألمرية هي ولاية ضمن منطقة غرناطة ضمن الأندلس حيث أن غرناطة تتكون من ثلاث ولايات ألا وهي: ألمرية وغرناطة وملقة) وبالطريق عندما كان المنصور عائداً إلى المغرب توفي حاكم المرية واستلم الحكم من بعده ابنه الذي كان معجباً ببطولات المارديني وأفعاله وبانتصاراته الباهرة إيثاره ولأن نفسه مؤمنة ويحب الخير للأمة الإسلامية عرض على المارديني استلام حكم ألمرية شرط أن يبقى هو محتفظاً ببعض الصلاحيات فقبل الأخير بهذا العرض الرائع واستجاب لطلبه وأصبح حاكماً على ولاية ألمرية وأول ما قام به بعد استلامه الحكم هو جلب ستة آلاف مقاتل من المغرب على دفعتين ووضعهم في جزيرة طريف ليكونوا قريبين وقت الحاجة بالإضافة إلى القيام ببعض الإصلاحات في بعض قطاعات الدولة.

وهنا وبعد استلام المنصور الحكم دبت الغيرة والطمع في نفس ابن الأحمر الفقيه الذي كان قد قام بتحرير جيان فأراد ان يحل محل المنصور أو يتخلص منه خاصة بعدما قام المنصور بإرساء جذوره في ألمرية وجزيرة طريف وكان الفقيه يعلم كل العلم أنه لن يستطيع الاقتراب من المنصور لقتله بأي طريقة كانت بسبب حبه من قبل شعبه وربه فقرر وبعد تفكير طويل أن يطلب العون من ملك قشتالة الجديد الذي سبق وأن انتصر المنصور والفقيه على الملك الذي قبله في معركة الدونونية وكان هذا من أفظع الأعمال التي قام بها باستعانته بعدوه ضد أخيه المسلم وبعد مفاوضات سرية بين الطرفين اتفق الطرفان الفقيه وملك قشتاله على قتال المنصور وفعلاً هذا ما حدث عندما أعاد ملك قشتاله جمع جيوشه لقتال المنصور لكن هذه المرة بمساعدة الفقيه و هنا في هذه الأوقات يعلم المنصور بهذه الخيانة الكبيرة وما يكون منه إلا أن قام بتجهيز الجيش لمجابهتهم وهنا تحدث موقعة أخرى تدور بين الإسلام والنصارى ألا وهي معركة طريف (677هجري-1276ميلادي) والتقى الجمعان بعدما قام المنصور باستحضار الستة آلاف مقاتل من جزيرة طريف فينتصر المنصور عليهم ويفر النصارى إلى الشمال تاركين خلفهم جثث القتلى و يبقى الفقيه واقفاً وجهاً لوجه مع المنصور وهنا بدأ الفقيه باستسماح العذر من المنصور وطلب العفو والصفح والغفران إظهار الضعف والندم والأسف على ما قام به فما كان من رقة قلب المنصور ورغبته في التشبه بصفات النبي (صلى الله عليه وسلم) إلا أن عفا عنه وفوق ذلك أعاده إلى حكمه.

الفصل الثاني: عودة الخيانة وعودة خسارات المسلمين:

بعد موت المنصور المارديني (رحمه الله) عام (685هجري-1285ميلادي) خلفه من بعده على الحكم ابنه يوسف بن المنصور حيث ترأس طريف وبني ماردين.

وهنا عادت روح الوسوسة لابن الأحمر وعاد هو أيضاً إلى الاستعانة بالنصارى ليسيطر على المدن التي يترأسها يوسف بن المنصور وفي هذه المرة اجتمع جيشان كبيران وضخمان تمكنوا من الانتصار على المسلمين ودخلوا إلى طريف وسيطروا عليها.

(وهنا يجدر بالذكر أيضاً أن لمدينة طريف موقع وأهمية كبيرين فهي تطل على جبل طارق وحين سقوطها واستيلاء النصارى عليها سينقطع امداد العرب الأندلسيين عن العرب المغاربة بالسلاح والغذاء والعتاد وأي شيء).

وهنا نرى خداع المشركين واستغلالهم للعرب وللعقول الضعيفة حيث أنه كان الاتفاق بين ابن الأحمر والنصارى أن يعطوه طريفاً بعد الانتصار على المنصور لكنهم لم يعيدوها إليه وأخذوها وسيطروا عليها.

الفصل الثالث: استمرار الغدر من قبل العرب لإخوتهم:

عام(701هجري-1302ميلادي) توفي ابن الأحمر نتيجة حادث صحي فتولى الحكم من بعده محمد الثالث بن الأحمر الملقب بالأعمش وكان رئيس كبار الوزراء عنده أبو عبد الله بن الحكم وكان على شاكلة غيره في مراسلة النصارى والتعامل معهم خاصة وأنه كانت له السيطرة والرأي الأول والأخير لكافة شؤون غرناطة.

وبما أنه كان على تواصل كبير مع النصارى فراحوا يثيروه ضد إخوته العرب ويخدعونه ليقاتل أهله في سبته في المغرب وليبعدوه عن حدودهم وعن دولتهم ولكن الأغبى من هذا كله أنه وافق على ذلك وراح يقاتلهم بدل أن يقاتل النصارى المتاخمين لحدوده فاحتلها ظنناً منه أنه سيقوى شأنه في مضيق جبل طارق إضافة إلى ذلك لم تتوقف أفعاله الدنيئة عند هذا الحد فقد قام بمراسلة خونة آخرين في بني مارين التي هي تحت حكم ابن المنصور حيث تمكن من القيام بفعلته وحدث انقلاب على حكم ابن المنصور وانقلبوا على ملكهم وأمدهم بالسلاح وكل ما يلزم وحدثت وقتها فتنة كبيرة في بني مارين واختلف الشارع بين مؤيد للانقلاب وآخرين معارضين له ومؤيدين لحكم المنصور واستمرت هذه الفتنة أعواماً استغلها النصارى فبدؤوا بالزحف للسيطرة على جبل طارق مستغلين الانقسام الكبير في صفوف المسلمين وليتمكنوا من السيطرة كلياً على الجبل ولينقطع نهائياً الدعم في المغرب عن العرب الأندلسيين وكان ذلك عام (709هجري-1309ميلادي) وبدءً من تلك اللحظة أصبحت غرناطة بعد انقطاع الطريق لعن المغرب تلاحق شبح موتها المحتوم.

الباب السادس: على الرغم من الصمود ظهرت ملامح الهزيمة:

الفصل الأول: صمود غرناطة طيلة قرنين من الزمن:

منذ سيطرة النصارى على جبل طارق عام (709هجري-1309ميلادي) وحتى عام (897هجري-1492ميلادي) ظل الوضع في غرناطة على ما هو واسترت المعاهدات والاتفاقيات بين أبناء الأحمر وملوك غرناطة مع النصارى وملوك قشتالة وكان السر في بقاء الوضع على حاله على الرغم من عدم وجود الدعم والمدد إلا أن الصراع الطويل والكبير بين ملك قشتالة وملك أراغون على تقاسم الحدود والغنائم العربية أجَّل نهاية غرناطة فترة قرنين من الزمن تقريباً وعلى الرغم من طول هذه الفترة إلا أن غرناطة بقيت في حالة ممتازة من الرفاهية والعز والملك حيث أن الإنتاج المحلي الزراعي كان كافياً والصناعي أيضاً وكان الشعب في أكثر الأوقات مطرباً سكراناً على عكس العادة والمنطق بأن يكون أي شعب آخر في وضعه يشعر بالقلق والاضطراب وعدم الاستقرار وقلة الأمن............. وعلى الرغم من ذلك تمكن أهل غرناطة من الحفظ على التكوين والبناء الاجتماعي ولو بإمكانيات قليلة تضيق وتتسع أحياناً حسب الوضع والأحوال أما عن العلوم فقد استفاد العلماء من تجارب سابقيهم وطوروا أشياء جديدة واكتشفوا أخرى ظلت مستخدمة ومهمة حتى الآن وفي مجال الصناعة ظلت مزدهرة وثابتة وبرزت صناعة الأسلحة مثل: المدافع التي ترمي نوعاً من المحروقات بعد أن تحوله إلى طاقة نارية قاذفة وملتهبة وما زال متحف مدريد الحربي يحتفظ بأجزاء منهم حنى الآن.

الفصل الثاني: قبيل السقوط واجتماع الممالك النصرانية:

كما ذكر سابقاً كانت غرناطة خلال مائتي عام تنعم بالأمن والاستقرار وكان النصارى منشغلين بالحروب فيما بينهم ولكن في آخر خمس وعشرين عاماً وجهت بعض الممالك نظرها من أجل السيطرة والقضاء على آخر معقل للعرب في بلاد الغرب ألا وهي غرناطة حيث تمكنوا بعد ذلك من القضاء عليها كلياً ولنرى ماذا حصل.

قبل السقوط وبمدة ستة وعشرين سنة تقريباً وفي عام (871هجري-1467ميلادي) كان يحكم غرناطة محمد بن سعد بن إسماعيل الملقب ب (الغالب بالله) وله أخ اسمه محمد أيضاً الملقب ب (الزغل) والزغل يعني الشجاع.

وكعادة كل الأخوة في تلك الأزمان كانوا يتصارعون ويتنازعون على الحكم وهنا كان هذان الأخوان يتصارعان على حكم غرناطة المحاطة بالنصارى (الأراجوانيين والقشتاليين) اللتان كانتا تنتظران الذلة الصغيرة للانقضاض والسيطرة على غرناطة.

وكما نعلم كان أولاد الأحمر جميعهم على تواصل مع النصارى وأحد هذان الأخوان استعان بملك قشتالة ألا وهو الزغل ليحارب أخاه الغالب وقامت حرب بينهما امتدت لأشهر انتهت بالصلح ولكن بشروط من كلا الطرفين وانتهت أيضاً هذه الشروط على الموافقة بتقسيم غرناطة إلى قسمين منفصلين يرأسهما ملك جديد ألا وهما:

الأول شمالي برئاسة الغالب والثاني جنوبي برئاسة الزغل وهو ملقة.

وبعد هذا الانقسام بثلاثة أعوام تمكن فيرناندو ملك أراغون من التزوج من إيزابيلا وريثة عرش قشتالة وبهذا الزواج تكون مملكتا قشتالة وأراغون قد اصطلحتا وشكلتا مملكة واحدة ألا وهي مملكة إسبانيا وكان ذلك عام (879هجري-1474ميلادي) هذه الخطوة كانت الثانية التي يرى فيها أهل غرناطة شبح الموت يقترب منعم أكثر فأكثر.

الفصل الثالث: بداية النهاية للعرب الأندلسيين:

عام (879هجري-1474ميلادي) كانت غرناطة على حالها منقسمة إلى قسمين منفصلين الأول مع الزغل والآخر مع الغالب وكان الشعب يعيش حالة من الرفاهية والطرب وانتشرت الخمور والملاهي والمراقص بشكل كبير.ااا

وفي تلك الأوقات كان الغالب مغرماً بامرأة تدعى عائشة وبقي واقعاً في حبالها بالسر لمدة طويلة انتهت بزواجه منها فأنجبت له ولداً اسمه محمد أبو عبد الله (محمد الصغير وذلك للتفرقة بينه وبين عمه الزغل) وبعد زواجه وإنجابه لمحمد الصغير افتتن الغالب من جديد بجارية نصرانية تدعى ثريا وأنجبت له ولداً اسمه يحيى وظلت توسوس في عقله وأثرت عليه حتى لجعل يحيى وريثاً له من بعده ليأخذ الحكم ويصبح ملكاً على الجزء الذي يسيطر عليه أبيه من غرناطة.

ولقد أقنعته النصرانية بذلك وليضمن الغالب حدوث ما أرادته ثريا بحصول يحيى على الحكم قام الغالب بحجز عائشة وابنها محمد الصغير في قصر كبير تماماً وفرض عليهما حصاراً شديداً لكن أحد الحراس كان رافضاً لسياسة الغالب وكان متعاوناً مع محمد الصغير حيث أنه أصبح جسد محمد في الخارج وبقي محمد في حبسه يدبر ويخطط وبعد مدة قصيرة تمكن الحارس من بعد أوامر من محمد أن يقوم بانقلاب على حكم أبيه مستغلاً غضب الشعب على حكم الأب وتصرفاته المشينة وأيضاً لأنهم لا يريدون أن يحكموا من قبل شخص له أصل نصراني من أم نصرانية فذهبوا ليفكوا الحصار عن عائشة وابنها وبعد فك الحصار أكمل محمد الصغير الانقلاب بإحداث ثورة على حكم أبيه ولم يكن أمام الغالب من أمر غير أنه قرر الهرب من غضب وسخط هذا الشعب الهائج وفرَّ إلى الجنوب حيث يوجد أخوه الزغل في ملقة وهنا تغير وضع حكام غرناطة فأصبحت مقسومة على الشكل الآتي:

الأول لمحمد الصغير بدلاً من أبيه الغالب والثاني للزغل في ملقه وفيه أخوه الغالب.

الباب السابع: توحد الأعداء وبدء الانقضاض على العرب:

الفصل الأول: لدغة العقرب الأولى واستغلال التفرقة والنزاع:

استغل فرناندو الثالث هذا الوضع السيء والرديء بين العم وابن الأخ والاضطرابات الحاصلة بين الطرفين فقام ملك إسبانيا بمهاجمة الحصون والقلاع الشمالية لغرناطة بعد حشدة لجمع كبير وجيش عرمرم واستغل في هجمته صغر سن محمد الصغير وقلة خبرته في المعارك وظن أن الابن سيفعل مثل ما يفعل أبوه كل مرة بأنه سيدفع فدية أو جزية بسيطة أو أن يقوم بوضع معاهدة أو اتفاقية يضع فيها فرناندو الشروط بنفسه بحكم موقعه من المعركة وسيطرته المطلقة لكن محمد الصغير خالف كل التوقعات وحاول التصدي لهذا الجيش الكبير وقاتل وقاوم بضعة أيام لكن انتهت تلك المعركة بأسره من قبل ملك إسبانيا (فرناندو) وعاد به إلى مملكته فأصبح الجزء الشمالي لغرناطة بدون حاكم وهنا يظهر العم الزغل من الجنوب وبدلاً من أن يساعد ابن أخيه فإنه انتظر حتى يؤسر وقام بعد ذلك بالتوجه للشمال وأصبحت غرناطة جزءاً واحداً تحت حكم الزغل.

الفصل الثاني: عودت الخيانة من قبل ابن الأخ لعمه:

بعد مرور زمن قصير حاول الزغل بعد تدخل ورجاء من قبل أخيه الغالب بأن يقوم بما يستطيع لفك الأسر عن محمد الصغير ولقد أثر رجائه وطلبه في نفس الزغل فقام بعرض جزية من المال على ملك إسبانيا مقابل أن يعيد محمد إليه لكن فرناندو رفض هذا العرض وذهب إلى السجن الموجود فيه محمد الصغير الذي كان قد بلغ من العمر خمسة وعشرين عاماً واتفق معه على القيام بخطة يمكنه من السيطرة على غرناطة وأن يطرد منها الزغل وطبعاً لم يكن ملك إسبانيا بهذا الغباء ليقوم بإخراج سجين مهم من عنده ويعيده إلى حكمه من دون مقابل فلقد كانت له أهداف ومساع.

وافق الصغير على خطة ملك إسبانيا وكانت هي أن يدخل الصغير من الشمال (غرناطة) مع قوة يمده به الملك أما الملك فإنه سيدخل بنفسه من الجنوب من ملقه وسيكون في هذا الوضع الزغل محاطاً من الطرفين العلويين الشمالي والجنوبي.

بدأت هذه الحرب واتجه الزغل لمواجهة ملك إسبانيا من الجنوب ولم يكن يعلم بهذه الجموع الكبيرة حيث أنه لم يتمكن من الصمود بوجه الملك وهنا كانت المعارك دائرة في الشمال وعلم الزغل بذلك فحاول أن يترك الصراع في الجنوب ويضع خطة استنزاف ليتصدوا للملك بحيث يتمكن الزغل من التصدي لمحمد الصغير في الشمال وهذا ما حدث حقيقة حيث توجه إلى الشمال لمجابهة الصغير لكن قبل وصوله كان ابن الأحمر محمد الصغير قد سيطر على معظم المناطق الشمالية وبعدها فوراً أتاه خبر يؤكد له أن الملك في الجنوب قد سيطر على ملقة حيث أنه قاتلها قتالاً شديداً وأحاطها من كل جانب ومكان وحاول أهلها التصدي بكل ما عندهم من أسلحة وعتاد لكن لم يتمكنوا من الصمود أمام كل هذه الجموع من العدو واستولى النصارى عليها في عام (892ه-1478م) وهنا دب اليأس وروح الفشل في نفس الزغل فقرر الذهاب هو ومن معه إلى منطقة شرق غرناطة تدعى وادي آش وأقام فيها وسارع لتأسيس الحصون والمتارس وبذلك تكون غرناطة قد انقسمت ثلاث أقسام :

قسم في الشرق يرأسه الزغل وقسم في الشمال يرأسه محمد الصغير والجزء الجنوبي (ملقة) للنصارى المفترض أن تكون للصغير حسب الاتفاق بينه وبين الملك عندما كان في السجن فاحتج من كان مع الملك من النصارى ورفضوا إعادة ملقة للصغير فتذرعوا بحجة أن الزغل سوف يتمكن من استعادة الجنوب والحل في ذلك هو أن قرر الملك بأن يبقي جيوش النصارى فيها لحماية الصغير وكانت هذه الحجة بالطبع ليست لحماية الصغير وأهالي ملقة بل كانت خطوة ليتمكن الملك من السيطرة غير المباشرة على ملقة وبعد أشهر معدودات أخذ الملك الإسباني بالقوة بعض الناس كأسرى وعبيد ورقيق تحت مرأى من محمد الصغير الذي لم يحرك ساكناً ولم يستطع القيام بأي شيء.

الفصل الثالث: التقاط الأنفاس وآخر ما تبقى من غرناطة:

عام (895هجري-1490ميلادي) أعد ملك إسبانيا العدة وقرر التخلص مما تبقى من غرناطة فانطلق الملك من ملقة إلى ألمريا على الساحل للبحر المتوسط فاحتلها وأصبحت منطقة البحرية بما فيها جبل طارق \_الذي تمكنوا من السيطرة عليه سابقاً\_ تحت سيطرة النصارى وتوجه بعد ذلك الملك لوادي آش وأخذها من الزغل بعد معركة عنيفة لكن الزغل تمكن من الهروب إلى تونس تاركاً البلاد بما فيها للنصارى وبعد تلك اللحظة أصبح ما تبقى من غرناطة محاصراً بالنصارى من جميع الجهات شمالاً وجنوباً وشرقاً وتداعوا من جميع الجهات للسيطرة عليها وأحرقوا القرى والمزارع وقتلوا المواشي وسمموا المياه وأتلفوا المحاصيل وطلبوا من الصغير التسليم وإعطاء المفاتيح وكان ذلك عام (895هجري-1490ميلادي) في هذه الأوقات أحس الصغير بخيانته العظمى للعرب والإسلام ولشعبه وللأمة العربية وأحس أيضاً بالندم ولكن ماذا ينفع الندم في هذه الأوقات وماذا تنفع الحسرة والتباكي والندم؟ لقد ظن الغبي أن الموالات والقيام بكل هذه التحالفات والمعاهدات والاتفاقيات ستحفظ حكمه وستمكنه من البقاء والسيطرة على الحكم ولكن كل ذلك كان سراباً ووهماً وخداعاً وحدث أن أعطوه فترة للتفكير والتمعن في أن يقرر فيما إذا يريد أن يسلم المدينة أو يقرر البقاء والتصدي لهم وبالطبع سيقضى عليه نهائياً.

وفي هذه المدة القصيرة الممنوحة قام الصغير بالاجتماع مع وزرائه والتشاور في هذا الموضوع وأجمع الكل على البقاء والتصدي حتى آخر نفس وأخر قطرة دم على الرغم من إدراكهم المنطقي أن ذلك سيكون من المستحيل ولا توجد قدرة للبلاد لتحمل هذه الطاقة الكبيرة والأعباء والعقبات الجسيمة وهنا حدثت انتفاضة إسلامية كبيرة يرأسها رجل يدعى موسى بن أبي غسان فحرك الهمم وصعَّد القوى أثارها وحثَّهم وشجعهم على القتال والجهاد في سبيل الله والدفاع عن شرف الأمة الإسلامية والهوية العربية فاستجابت الروح الإسلامية العربية لهذه الخطبة العظيمة وظلوا صامدين طيلة سبعة أشهر في الحصون يحاربون الأعداد الهائلة للنصارى الذين يهاجمون من كل الجهات في الوقت الذي كان فيه محمد الصغير يقف مراقباً الوضع من غير القدرة على القيام بأي شيء وبعد سبعة أشهر أخرى أرسل فرناندو إيزابيلا رسالة يطلبان فيها تسليم غرناطة مقابل سبعين شرط آخر من قبل الملكين يضمنان للعرب فيهم حق البقاء وبعض الحقوق الأخرى وقام عبد الملك أبو القاسم الذي كان بسلطة الوزير بمهمة التفاوض على معاهدة ترضي الطرفين وساعده في هذه المهمة يوسف بن كماشة وكان التفاوض حصرياً مع الملكين الكاثوليكيين وأطلق العرب عليها معاهدة التسليم[[6]](#footnote-6) عام (21 محرم 897هجري-25 تشرين الثاني 1491 ميلادي) وهذه البنود أبرز ما ورد فيها:

1-أن يتحكم الناس في شريعتهم ودينهم ويكون لهم الحرية المطلقة في هذا الأمر.

2-لا تفرض عليهم الضرائب إلا بعد ثلاث سنوات من استلام فرناندو الحكم والسلطة وبعد ثلاث سنوات يؤخذ منهم ما كان يجبيه منهم حكامهم المسلمين.

3-على المدينة أن تفتح أبوابها جميعها للاحتلال الإسباني وألا يتعرض أي جندي نصراني لجرح أو خدش من قبل أي عربي.

4-يمتلك المسلمين الحق فيما إذا يريدون البقاء أو الهجرة من المدينة.

5-يتعهد الملك بتوفير وسائل المواصلات لمن يريد السفر والعودة لإفريقيا العربية.

كان موسى بن أبي غسان قد فهم المغزى من هذه المعاهدة والرسالة من قلبها فهي كانت تحاول وقف روح الانتفاضة والجهاد ووقف الدفاع عن البلاد والتصدي لهم وقال موسى بن أبي غسان بن عائشة في ذلك اليوم أشهر وأجمل المقولات:

(هذا الشعب الذي علمه محمد كيف يلبي كلما دعي إلى التضحية والجهاد لباه وتشققت أسماله البالية عن أسود غاب وسباع عرين)[[7]](#footnote-7) لكن الصغير كان موافقاً على هذه الشروط لكنه تذكر المرات التي خدع بها من قبل الملك نفسه فطلب ضمانات وأضاف شرطين للمعاهدة يضمنان حقوقه وحقوق الشعب وهما:

أولاً: أن يقوم الملكان فرناندو إيزابيلا بالقسم على تنفيذ هذه الشروط والوعود.

ثانياً: أن تعين هيئة دولية تشرف على هذه المعاهدة وعلى التوصيات الازمة ضمنها ولم يرى محمد الصغير أفضل من البابا في إيطاليا رجلاً تكون له كلمة وهيبة على الملكان الإسبانيان وطلب إليه أن يحكم بهذه المعاهدة.

وافق الملكان على هذه الشروط وعند اجتماع الزعماء والقادة ومن بينهم البابا ليوقعوا وثيقة التسليم في بهو الحمراء صمت موسى وساد المجلس سكون الموت وعندها قام الملك الضعيف محمد الصغير وقال: (الله أكبر لا إله إلا الله هذا قضاء الله وقدره ولا رد لقضائه تالله لقد كتب علي أن أكون شقياً وأن يذهب الملك من يدي)[[8]](#footnote-8).

وكرر الجميع من بعده أن هذا كان بإرادة الله وقدره وليكن لا مفر من قضائه وقدره.

وعندما رأى موسى بن أبي غسان أن محاولاته ذهبت أدراج الرياح فنهض عن كرسي صمته غاضباً جامحاً وقال بكل حزن وأسى:

(لا تخدعوا أنفسكم ولا تظنوا أن النصارى سيوفون بعهدهم ولا تركنوا إلى شهامة ملكهم إن الموت أقل ما نخشى فأمنَّا نهب مدننا وتدميرها وتدنيس مساجدنا وتخريب بيوتنا وهتك بناتنا ونسائنا وأمامنا الجور الفاحش والتعصب الوحشي والسياط والأغلال وأمامنا السجون والمحارق هذا ما سوف نعاني من مصائب وعنف وهذا ما سوف تراه على الأقل تلك الفوس الوضيعة التي تخشى الآن الموت الشريف أما أنا فوالله لن أراه).

وبعد انتهائه من هذا الكلام فإذا بأطفال غرناطة ينشدون ذلك النشيد الذي لا يعرف من نظمه لهم فيصغي الناس وكل من كان في البهو لهذا البديع من أولئك الأزهار الصغار:

(لا تبك يا أماه إنا ذاهبون إلى الجنة

إن أرض غرناطة لن تضيق عن لحد طفل صغير مات في سبيل الله

إن أزهار غرناطة لن تمنع عطرها قبراً لم يمتَّع صاحبه بعطر الحياة

إن ينابيع غرناطة لن تحرم ماءها ثرى لحد ما ارتوى صاحبه من مائها

أنت يا أرض غرناطة أمنا الثانية فضمينا إلى صدرك الدافئ الذي ضم آبائنا الشهداء

لا تبك يا أمنا بل اضحكي واحفظي لعبنا وسيأتي إخوتنا فيلعبون بها

فذكريهم بأننا تركناهم من أجل هذا الوطن وسنلتقي يا أماه!

إنك لن تُؤثري الحياة في ظلال الإسبان على الموت تحت الراية الحجازية

ولن تضيق عنا أرض غرناطة فما ضاقت أرضنا بشهيد!!!)[[9]](#footnote-9)

وبعدها غادر أبو عبد الله المجلس فذهب لبيته ولبس درعه وأخذ كامل عدته وامتطى جواده وغادر البلاد فوجد خمسة عشر رجلاً نصرانياً في وجهه فقاتلهم لكنه سقط شهيداً

وبعد التوقيع على تلك المعاهدة دخل الملكان الإسبانيان قصر الحمراء وأول عمل رسمي يقومان به هو تعليق صليب فضي كبير فوق برج القصر الأعلى ومنه أعلنا أن غرناطة نصرانية تابعة للملكين الكاثوليكيين وانتهاء حكم الإسلام من الأندلس كلها.

أما محمد فقرر الهرب حتى وصل إلى ربوة عالية مطلة على قصر الحمراء فيتذكر ذلك المجد الضائع ويتباكى عليه فتقول له أمه "عائشة الحرة"(أجل فلتبك كالنساء ملكاً لم تستطع أن تدافع عنه كالرجال)[[10]](#footnote-10) وهاجر بعدها محمد الصغير إلى المغرب واستقر بفاس وبنى قصوراً على طراز قصور الأندلس.

الباب الثامن: أسباب السقوط والضياع:

كانت عوامل سقوط وضياع أي أمة في تلك الفترات متشابهة إلى حد ما باستثناء بعض الأسباب الخاصة بكل واحدة منهم إلا أن الأندلس وغرناطة خاصة تميزت بمجموعة من الظروف والمتغيرات عن كل الأمم السابقة لأن سبب سقوطها كان بيد حكامها الفاسقين المفسدين وبعض الموسوسين المعارضين للإسلام وهنا أبرز العوامل والأسباب:

العامل الأول: الانصراف إلى ملذات الدنيا وشهواتها:

كانت هذا السبب من أهم الأسباب وأكثرها تأثيراً فلقد كان الناس يعيشون حياة من الترف والازدهار والغنى فأغرقوا فيهم وازدادت المقاهي والملاهي وشرب الخمر وهذا ما أدى إلى نسيان البعض لدينهم وأصلهم وانصرافهم إلى الملذات والشهوات الدنيوية وجهل الشباب بدينهم وخلعهم إلى الميوعة والخداع والجهل فقد رأوا من كثرة الأموال والتحضر والترف ما يغنيهم عن دينهم والانصراف عن تعاليمه وأوامره فانحطت أهدافهم ومطامحهم وكثر الشعراء والمغنون ومنهم من رثى هذه الأمة في سقوطها فيقول برثائها:

غرناطة يا أجمل المدن....................لن تسري بعد اليوم نغمات العود الناعمة......

في شوارعك المقمرة...............ولن تسمع ألحان العشاق ..........تحت قصورك العالية

وستسكت دقات الصنوج المرحة...............التي كانت تتناغم فوق تلالك الخصبة........

وستقف الراقصات الجميلات..............تحت عرائشك الوريفة ..........وااااحسرتاه......

لن يستمع عربي بعد اليوم إلى البلابل..........تصدح في مروجك الفسيحة..................

ولن يستروح أريج الريحان وأزهار النارنج والبرتقال ....................واااااحسرتاه......[[11]](#footnote-11)

هذه كانت واحدة من بين آلاف القصائد والكتابات التي لم تصل حتى ولو كانت بغاية الجمال الأدبي إلى ما كانت عليه غرناطة من الجمال والبهاء والعزة والإباء.

العامل الثاني: ترك البعض الجهاد في سبيل الله:

وهذا الأمر ملازم لمن أغرق في الترف والانصراف إلى شهوات الدنيا وملذاتها مع العلم أن الإسلام هو دين الجهاد في سبيل الله فكيف نسوا سابقيهم من المجاهدين الذين استبسلوا في ساحات الجهاد وكانوا يخوضون معركتين في كل عام من حياتهم على الأقل أمثال يوسف بن تاشفين وأبو بكر بن عمر اللمتوني والحاجب المنصور وعبد الرحمن الناصر وغيرهم الكثير والكثير.

العامل الثالث: التفرق والضعف ومناصرة الأعداء المشركين:

لقد كان أغلب الناس في تلك الفترة فترة الحصار والخوف لا يثقون ببعضهم البعض فكل لوحده لا يحفل بغيره من إخوانه ففي أوقات نقص الطعام والشراب كل يسعى لتأمين احتياجاته لنفسه ولعائلته وينسى أشقائه أو يتناساهم عمداً.

ومنهم من تحالف مع النصارى واتفق معهم على مبدأ إن تعطني أعطك لكن ذلك كان خداعاً من قبل النصارى المشركين للعرب ليحصلوا على ما يردونه منهم مثل ما قام به ابن الأحمر بالتحالف مع ملك قشتالة ليتخلص من المنصور المارديني (كما ذكر سابقاً) وأيضاً مرة أخرى عندما أعاد ابن الأحمر التحالف مع النصارى ليسيطر على طريف والجزيرة الخضراء ويأخذها من يوسف بن المنصور المارديني.

وأيضاً الوزير أبو عبد الله بن الحكم وزير محمد الثالث الملقب بالأعمش حين سيطر على سبته بدلاً من السيطرة على أي مدينة نصرانية متاخمة لحدود دولته.

كل ما قاموا به من مناصرة أعدائهم ارتد عليهم حيث أن كل مرة كانوا يتفاوضون معهم ليحصلوا على مبتغاهم كان النصارى يستغلون ضعفهم وغبائهم ولا ينفذون إلا ما هو لمصالحهم ويخدم مخططاتهم الاستغلالية الاستعمارية.

قال تعالى: {ولن ترضى عنك اليهود والنصارى حتى تتبع ملتهم قل إن هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهوائهم بعد الذي جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولا نصير}

(سورة البقرة: 120)

الباب التاسع: حضارة غرناطة:

تتميز الأندلس بحضارة وتراث خالد متنوع فلقد كانت مزدهرة اقتصادياً وعلمياً وأدبياً إلى حد كبير وزراعياً واستراتيجياً.

زراعياً: كان موقع غرناطة أو بشكل أعم الأندلس موقعاً ممتازاً حيث أنها كانت محاطة بالمياه من ثلاث جهات وهذا ما يعني أنها تعرضت لتيارات بحرية محملة ببخار الماء بالإضافة إلى أن معظم مدنها كانت تشقها الأنهار ووديان مائية كل هذه العوامل ساعدت على تنوع المحاصيل الزراعية فكان منها التين والمشمش والدراق والعنب والبرتقال (المعروف سابقاً بالإطرج) ........وكان مدينة إشبيلية وقرطبة تسقى بمياه الوادي الكبير أما غرناطة فكانت أراضيها الزراعية تسقى بمياه حدرو وشنيل في حين اعتمد في نهر إبلو وشلون في سقاية منطقة سرقسطة وما حولها من مدن وقرى.

أما الري من العيون والآبار فقد اعتمد عليه في المناطق الغربية المشتهرة بوفرة مياه العيون الصالحة للشرب والري أما المناطق القليلة سقوط الأمطار فيحفرون الآبار في المناطق البعيدة عن الأنهار وكانوا يحرصون عند حفر الآبار أن تكون في مناطق مرتفعة ارتفاعاً كافياً لتروي جميع المناطق أسفلها وتصل سريعاً إلى كافة أنحاء الأرض المزروعة.

أما من أجل مياه الآبار فإنهم كانوا يستخدمون عجلة مائية يسمونها دولاب أو ناعورة من أجل سحب المياه لأعلى مستوى لها أو رفعها من النهر.

ومن أهم ما يؤكد اهتمام العرب بتطوير نظام الري في الأندلس هو تشييد تاشفين بن علي نواعير على نهر قرطبة وللحفاظ على عدم ضياع المياه والاستفادة منها عمل ابن هدية على غرس الأشجار في مناطق المياه لتخفيف تبخرها ولتستغل الأشجار بخار الماء في عملية التركيب الضوئي.

[[12]](#footnote-12)[[13]](#footnote-13)

اجتماعياً وأدبياً: قامت مملكة غرناطة في فترة سقوط الدويلات الأندلسية بإيواء الوافدين إليها وتأمين أغلب متطلباتهم واحتياجاتهم وكان من بينهم العديد من العلماء والكتاب والشعراء الذين أسهموا كثيراً بإثراء الحياة الفكرية والأدبية للأمة العربية من خلال مؤلفاتهم وكتبهم وقصائدهم التي شملت جميع أنواع العلوم والفنون والآداب ومن أبرزهم:

أبو عبد الله محمد بن جزى وابن خاتمة وابن زمرك والشريف العقيلي ولسان الدين بن

الخطيب الذي يعد من كبار الأعلام (أديب وطبيب وفيلسوف وشاعر ومؤرخ)

من نتاجاته: أدب الوزارة-الإحاطة في أخبار غرناطة-اللمحة البدوية في الدولة النصرية.

صناعياً: ارتقت العديد من الصناعات والفنون والأعمال الهندسية والمعمارية فازدهرت صناعة السفن والأنسجة والورق والفخار والذهب وصناعة الحلي وتطورت إلى حد بعيد صناعة الأسلحة فظهرت المدافع والبنادق ويحتفظ متحف مدريد الوطني بنماذج البنادق التي استعملها الأندلسيون في الدفاع عن أنفسهم.

طبيعياً: كانت غرناطة في عصرها أجمل مدن العالم وأكثرها بهاءً بشوارعها النظيفة وميادينها الرائعة وحدائقها الخلابة ومبانيها وكل شبر من أرضها ولا تزال هذه المعالم باقية حتى الآن تشهد على ما بلغته هذه المدينة من الروعة والفن.

اشتهرت المساجد باستخدام الرخام وأقاموا المآذن منفصلة عن المساجد وتوجد مئذنتان يرجع إنشاؤهما لتلك الفترة:

الأولى: مئذنة مسجد تحول إلى كنيسه والمعروفة باسم "سان خوان دي لويس ريس"

الثانية: ببلدة "رنده" التي تحول مسجدها إلى كنيسه أيضاً باسم "سان سيباستيان"

ويعد قصر الحمراء أعظم وأجمل معلم أندلسي باق حتى الآن بما حواه من بدائع الصنيع والمهارة الفائقة في صنعه وإبداعه بالإضافة إلى قصر جنة العريف

[[14]](#footnote-14)

[[15]](#footnote-15)

جمال الطبية الأندلسية وبهاؤها

النهاية:

نعم.... إنه لأمر مؤلم ومخز هذا الذي حدث في تلك البلاد العربية الإسلامية هذا الأمر الذي لم يحدث قط في أية قرية عربية فلم يشهد العالم مثالاً على ذلك الذل والغدر والإهانة والتخاذل وخاصة من قبل الحكام الذين كانوا قد نسوا كل شيء يَمُتّ للإسلام بصلة........لقد كانت تلك المملكة جنة على الأرض فردوس نازل من السماء وكان الأجمل من ذلك أن ساكني الجنة هم أصفى وأحلى وأجمل أهل الأرض أخلاقياً وعلمياً ودينياً وأدبياً فإنه لمن المعيب ومن المشين بحق العرب الإسلام أن يحدث ذلك بهم وبسبب أولئك الحكام الضالين الفاسدين الذين كانوا السبب في اندثار تلك الحضارة التي ما عرفت أوربا مثلها من قبل..... إنها حضارة الدنيا والدين الضائعة التي انطوى على إثرها صفحات كبيرة مسجلة في كتاب التاريخ وخسر العالم بشكل عام من أقصاه إلى أقصاه الكثير من العلوم والمعارف والإنجازات والقيم والأخلاق وفوق ذلك ارتفع العلم النصراني فوق العلم الإسلامي والصرح العربي المغلوب ومن وقتها إلى الآن اندثرت تلك الحضارة في أوربا وما زلنا ننتظر تلك اللحظة التي تجتمع فيها الدول العربية وتقرر استعادة كل الأجزاء المغتصبة وإهمال أولئك المفسدين الذين كانوا السبب الأكبر في تلك الفاجعة والمأساة المؤلمة المهينة.

المراجع:

1) الموسوعة الميسرة في التاريخ الإسلامي للدكتور راغب السرجاني.

(http://www.altarekh.com/) موقع التاريخ 2)

3) د.محمد النشار (أستاذ العصور الوسطى في جامعة طنطا) كتبه: حركة الاسترداد،علاقة قشتالة وأراغون بسلطنة المماليك.

4) عبد الله جمال الدين-تاريخ المسلمين في الأندلس-شركة السفير في القاهرة 1996م.

5) موقع الجزيرة الوثائقية http://www.archives-history@aljazeera.net)/ (

الفهرس:

المقدمة................................................................................................2

الباب الأول: الموقع والأهمية والحضارة.......................................................3

الباب الثاني: سيطرة العرب المسلمين على الأندلس ومراحل التطور.....................4

الفصل الأول: الفكرة وكيفية التنفيذ..............................................................4

الفصل الثاني: عبد الرحمن الغافقي واستلامه الحكم..........................................4

الباب الثالث: حروب الاسترداد التي شنتها الممالك النصرانية على الأندلس.............5

الفصل الأول: أصل الاسترداد وسببه............................................................5

الفصل الثاني: انهيار الدولة الأمويية وتمزق الأندلس إلى دويلات.........................5

الفصل الثالث: توالي حكام الأندلس بعد عبد الحمن بن معاوية.............................5

الفصل الرابع: المرابطون وحكمهم للأندلس...................................................6

الفصل الخامس: دولة الموحدين القائمة فوق دولة المرابطين................................6

الفصل السادس: موقعة الأرك(591ه) وانهيار بعض الأجزاء الأندلسية...................7

الباب الرابع: ابن الأحمر والمعارك الإسلامية..................................................7

الفصل الأول: وفاة محمد الأول وولاية ابنه من بعده..........................................7

الفصل الثاني: موقعة الدونونية ونصر للمسلمين...............................................8

الباب الخامس: أولى الخيانات التي كانت فاتحة لما بعدها....................................8

الفصل الأول: خيانة ابن الأحمر الفقيه العظمى................................................8

الفصل الثاني: عودة الخيانة وعودة خسارات المسلمين.......................................9

الفصل الثالث: استمرار الغدر من قبل العرب لإخوتهم.......................................9

الباب السادس: على الرغم من الصمود بدت ملامح الهزيمة................................10

الفصل الأول: صمود غرناطة طيلة قرنين من الزمن........................................10

الفصل الثاني: قبيل السقوط واجتماع الممالك النصرانية.....................................10

الفصل الثالث: بداية النهاية للعرب الأندلسيين.................................................11

الباب السابع: توحد الأعداء والانقضاض على العرب.......................................11

الفصل الأول: لدغة العقرب الأولى واستغلال التفرقة والنزاع.............................11

الفصل الثاني: عودة الخيانة من قبل ابن الأخ لعمه...........................................11

الفصل الثالث: التقاط الأنفاس وآخر ما تبقى من غرناطة...................................13

الباب الثامن: أسباب السقوط والضياع..........................................................14

الباب التاسع: حضارة غرناطة...................................................................15

النهاية.................................................................................................18

المراجع..............................................................................................18

الفهرس...............................................................................................18

فهرس الصور

(1): موقع خريطة الاندلس من الأطلس الجغرافي...........................................3

(2): موقع مدينة غرناطة على خارطة الأندلس..........................................................4

(5): ما قاله المارديني في موقعة الدونونيةّ..................................................................8

(12): الزراعة في الأندلس.....................................................................................16

(13): قنطرة قرطبة على نهر الوادي الكبير...................................................16

(14): ساحة السباع أمام قصر الحمراء........................................................17

(15): الطبيعة الأندلسية الخلابة..................................................................................17

1. موقع خريطة الاندلس من الأطلس الجغرافي [↑](#footnote-ref-1)
2. موقع مدينة غرناطة على خارطة الأندلس [↑](#footnote-ref-2)
3. (د.محمد النشار: حركة الاسترداد) أصل كلمة الاسترداد وأسباب القيام بهذه الحروب [↑](#footnote-ref-3)
4. موقع الجزيرة الوثائقية (تداعي الممالك الأندلسية) [↑](#footnote-ref-4)
5. ما قاله المارديني في موقعة الدونونيةّ (موقع التاريخ) [↑](#footnote-ref-5)
6. معاهدة التسليم التي جرت بين الملكين الكاثوليكين والمسلمين(د.محمد النشار: علاقة قشتالة وأراغون بسلطنة المماليك) [↑](#footnote-ref-6)
7. ما قاله موسى بن أبي غسان رداً على معاهدة التسليم (موقع الجزيرة الوثائقية) [↑](#footnote-ref-7)
8. ما قاله محمد الصغير يوم التسليم (موقع الجزيرة الوثائقية) [↑](#footnote-ref-8)
9. قصيدة لأطفال غرناطة 8 [↑](#footnote-ref-9)
10. ما قالته عائشة الحرة أم محمد عند هروبه بعد التسليم [↑](#footnote-ref-10)
11. ما قاله شاعر في سقوط غرناطة [↑](#footnote-ref-11)
12. الزراعة في الأندلس (موقع الجزيرة الوثائقية) [↑](#footnote-ref-12)
13. قنطرة قرطبة على نهر الوادي الكبير [↑](#footnote-ref-13)
14. ساحة السباع أمام قصر الحمراء (موقع التاريخ) [↑](#footnote-ref-14)
15. (الموسوعة الميسرة لراغب السرجاني) الطبيعة الأندلسية الخلابة [↑](#footnote-ref-15)